Archive of SID

الديموغرافية التاريخية لمدينة القدس وجوارها فى القرن السادس عشر

على أوسط إبراهيمى*

الملخص

يكون البحث فى هذا المقال حول مدينة القدس ومكانتها المقدسة التى حظيت بها على امتداد عصور تاريخية، ومكانتها الجغرافية والتاريخية التى اكتسبتها على امتداد العصور والأحقاب، وخاصة يعرض الديموغرافية التاريخية لمدينة القدس وجوارها فى القرن السادس عشر، لأن بداية القرن السادس عشر هى الخطة التاريخية التى تتوسط ثمانية قرون بالضبط، تشكل طوالعها احتلال الصليبيين لبيت القدس عام ١٠٩٩م/٤٩٢ق وانهيار الحجم الديموغرافى للقدس إثر مصرع قرابة ٧٠ ألف نسمة من سكان القدس مسلمين، ونصارى؛ والرسم البيانى يوضح حجم الديموغرافية التاريخية لمدينة القدس بعد عشرة قرون، والهجمة الصليبية الأولى فى احتلال الفرنجة للقدس عند نهاية القرن الحادى عشر، والنقصان الكبير فى عدد سكانها، وتسجيل الحاج بورشا فى توصيفاته للأرض المقدسة الطوائف والأديان والمذاهب والعناصر السكانية التى كانت القدس ملتقاها على مرّ التواريخ العصور الوسطى.

الكلماتالدليلية: مدينة القدس، الصهيونية، الصليبيون، المسلمون، الديموغرافية، النساطرة، اليعاقبة.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة تربيت معلم.

تاريخ الوصول: ١٣٨٩/٣/١هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٨٩/٧/٨هـ. ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

تعد مدينة القدس فى مركزها وأطرافها من أعرق المناطق التاريخية فى العالم، إذ كانت ولم تزل وستبقى تشغل تفكير الإنسان واهتماماته وتوجهاته، كما كانت عليه منذ عصور سالفة، ولعل من أبرز العوامل التى جعلتها مرتكزاً تاريخياً أساسياً للجذب والدفع السكانى:

١. المكانة المقدسة التى حظيت بها على امتداد عصور تاريخية وللأديان الثلاثة السماوية اليهودية والنصرانية والإسلام.

٢. المكانة الجغرافية التى تتمتع بها فى قلب العالم القديم قبل العصر الحديث، فضلاً عن جغرافيتها المؤثرة على امتداد الحديث.

٣. المكانة التاريخية التى اكتسبتها على امتداد العصور والأحقاب، ليس من خلال مركزيتها السياسية لأنها لم تكن عاصمة لأية دولة عدا مملكة الاتين الصليبية، بل لكونها ذات تأثير بالغ فى توجيه أحداث وظواهر تاريخية كبرى فى العلاقات بين الدول والكيانات التى أثمرت حالات من صراع الشرق مع الغرب، سواء أكان ذلك فى العصور الوسطى أم العصر الحديث.

إن هذه الدراسة ستعالج على مهل وباختزال شديد إحدى أبرز الظواهر الأساسية فى حياة مدينة القدس وأطرافها إبان العصر الحديث الذى شغله فيها التاريخ العثمانى وبالتحديد القرن السادس عشر الميلادى، باعتبارها إحدى أبرز المدن التى عنى بها العثمانيون أولا، ثم التعرف على عروبة مجتمعها المتنوع فى المركز والمحيط ثانيا، والتوغل فى كشف تباينات تاريخها السوسيولوجى المحل وحالات تلك البستانات التى توارثها أبناء مدينة القدس فى علاقاتهم وارتباطاتهم ثالثاً، وسيوصلنا ذلك بطبيعة الحال، إلى جملة من الاستنتاجات الأكيدة والمختفية التى لها نفعها وأهميتها فى الحاضر والمستقبل رابعاً، أى بمعنى، الكشف عما يسند مقوماتنا العربية إزاء القدس وهى التى تتعرض اليوم لأقسى التحديات لمواجهة المستقبل، وفى مقدمتها: الدعاوى الصهيونية الخاطئة فى جعل القدس عاصمة أزلية لإسرائيل، وتجريدها من عروبتها، وأصالتها،

www.SID.ir

Archive of SID

ومواريثها، وتواريخها، وإفراغها من محتوياتها الاجتماعيه الأصيلة.

أهمية الدراسة وإشكالية البحث:

إن الحاجة ماسة وضرورية للعناية بالتواريخ المحلية الاجتماعية والاقتصادية لمدينة القدس من خلال فحص مواريثها وبنيوياتها التاريخية وتحليلها بعد طرح فرضيات وإثارة تساؤلات من أجل البحث عن إجابات والتواصل إلى مزيد من الاستنتاجات. إن عشرات الدراسات والبحوث التى ينشرها الإسرائيليون عن القدس فضلاً عن عدد من المستشرقين والمهتمين الغربيين، لايوازيها البتة ما ينشر عربيا من القدس... وحتى ذاک الذى ينشر سابقاً أو الذى ينشر اليوم عربياً لايوازى أولاً فى قيمته العلمية ما ينشره الخصوم، أو الأعداء، أو حتى الآخرين. ثانياً لايرد ولايتفحص ما ينشر عن القدس فى لغات متعددة.

وأزعم أن فى ورقتى البحثية المتواضعة هذه، تم إجابات علمية وصريحة عن مسائل أساسية وجوهرية فى حياة القدس التاريخية.ذلک أننى أشر بعض الإشكاليات التاريخية. فى التبانيات الاجتماعية والسكانية والتى عرفتها اللغات التاريخية الصعبة التى انطلقت منها تلک المسائل والقضايا التى أعتقد وربما كنت مخطئاً – أن محصلتها الجوهرية تكفى لخدمة مستقبل القدس عربياً وإسلامياً إزاء المخاطر والتحديات الصهيونية فى القرن المقبل، وستكون المسألة السكانية وموازناتها المستقبلية إذا ما عرف العرب استخدامها هى السلاح الحقيقى فى إبقاء القدس عربية. ذلک لأن الديموغرافية العربية هى التى ستقبض على أنفاس الديموغرافية الإسرائيلية على امتداد الخمسين سنة القادمة. ويحاول المعنيون والمؤرخون الصهاينة العناية بهذه المسألة عناية فائقة... جنباً إلى جنب السياسة الصهيونية فى تطبيقاتها من خلال محاولة إفراغ مدينة القدس القديمة من سكانها الأصليين، وذلک باستئصال وجودهم من خلال هدم منازلهم وإبعادهم وإيذائهم، لعل أبرز الكتب الجديدة التى تعتنى بمسألة حيوية كهذه هو كتاب السير مارتن كيلبرت الموسوم بالقدس فى القرن العشرين، الذى يدلى بمعلومات تاريخية ومعاصرة من دون توثيقها، أو تبريرها بملاحظات، إذ لايتضمن كتابه شيئا منها، ما عدا روايات مستقاة

www.SID.ir

Archive of SID

بهوامش من الصحافة العبرية بعيداً عن المصادر الوثائقية المؤكدة.[1] وهو يقول بأن: كل زائر إلى القدس كان يصاب بالدهشة عندما يجد أن اليهود يؤلفون غالبية هناك. كان الأمر كذلک منذ منتصف القرن التاسع عشر![2] فی حين لاتثبت المصادر الوثاثقية العثمانية هذا الرأی، ولايتفحص المؤرخون العرب خطأ معلومات كهذه. ولكن؟ لماذا ركزت على القرن السادس عشر فی دراسة التبانيات الديموغرافية؟ ثمّ أسباب أساسية وقفت حيال إثارة إشكاليات هذا البحث:

١. لقد وصلت ديموغرافية القدس إلى درجة متدنية جدا إبان بدايات القرن السادس عشر، وهی حالة لم تصلها ألبته فی تاريخها الطويل. إن نظرة دقيقة ومتفحصة فی (الشكل رقم ١) تعلمنا عن ذلک كالذی سنحلله بعد قليل.

٢. إن بداية القرن السادس عشر هی اللحظة التاريخية التی تتوسط ثمانية قرون بالضبط تشكل طوالعها احتلال الصليبين لبيت المقدس عام ١٠٩٩م/٤٩٢ق وانهيار الحجم الديموغرافی للقدس إثر مصرع قرابة ٧٠ ألف نسمة من سكان القدس مسلمين ونصارى. ثمن تصاعد الحجم السكانی للقدس على امتداد ٣ قرون (١٢-١٥). ثم انهيار الحجم السكانی للقدس على امتداد القرن الخامس عشر، وتدنی مختلف الحالات الاجتماعية والاقتصادية عند اللحظة التاريخية التی تتوسط هذه الفترة الزمينة الطويلة (٨ قرون) ثم انطلاق التصاعد فی الحجم السكانی للقدس على امتداد ٣ قرون (١٦-١٩) وصولاً إلى نهايات القرن التاسع عشر التی سجلت أعظم هجمة تاريخية تتعرض لها القدس من قبل اليهود الصهانية الذين وصلت قوتهم إلى الدرجة التی تمنحهم فی المؤتمر الصهيونی الأول عام ١٨٩٧م المناداة بتأسيس إسرائيل وطناً للإسرائيليين.

٣. ما هو المعنى التاريخی لهذا التقسيم الكمی؟

إن القدس قد وقعت فی بدايات القرن السادس عشر بين أقسی تحديين تاريخيين عظيمين، أولهما: الهجمة الصليبية القاسية عند قفلة القرن الحادی عشر الميلادی (١٠٩٩م)

1. Sir M.Gelebert, Ierusalem in the Towenth century, Bemlego, 1996.
2. Ibid.P.7.

www.SID.ir

Archive of SID

وثانيهما الهجمة الصهيونية القاسية التى بدأت عند قفلة القرن التاسع عشر الميلادى (١٨٩٧م) وبين الهجمتين التاريخيتين ثمانية قرون كاملة تتوسطها بالضبط بدايات القرن السادس عشر الميلادى. ولكن إذا كان العرب المسلمون قد حرروا القدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى بعد مرور (٨٨) سنة على احتلالها من قبل الصليبين والفرنجة، وذلک فى ٢٠ أيلول/سبتمبر١١٨٧م بعد موقعة حطين الفاصلة يوم ٣ تموز/ يوليو١١٨٧م، (راجع: التفاصيل التاريخية التى كتبها الباحث سيار الجميل فى: النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبى. ١٩٩٧م: صص ٦٥-٧٥-٧٩) فإن العرب المسلمين مايزالون عاجزين عن تحرير القدس وفلسطين بعد مرور قرابة (١٠٠) سنة على المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧م، وبعد مرور (٢٠) سنة على تأسيس كيان إسرائيل عام ١٩٩٧م، وبعد مرور (٣٠) سنة على فقدان مدينة القدس كاملة عام ١٩٦٧م!

ديموغرافية مدينة القدس

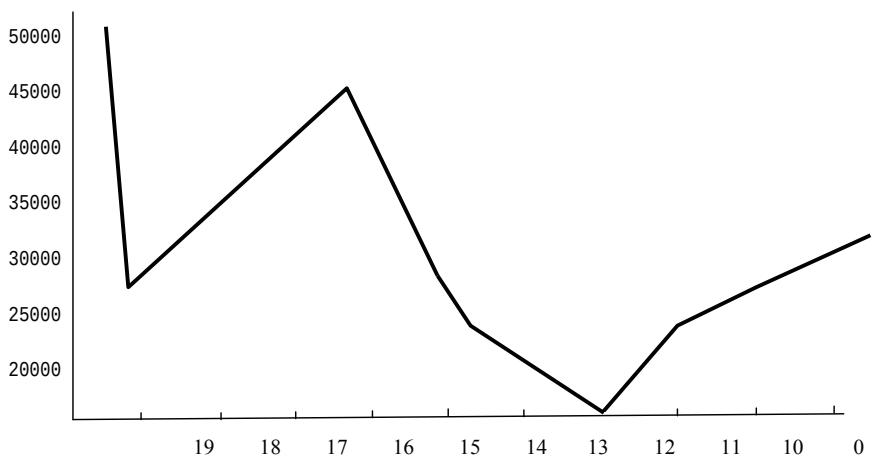

الشكل رقم (١) : رسم بيانى بالديموغرافية التاريخية لمدينة القدس عبر عشرة قرون ١٠-٢٠ (يهود).

والرسم البيانى (شكل رقم١) يوضح حجم الديموغرافية التاريخية لمدينة القدس بعد عشرة قرون بدءاً بالقرن الحادى عشر، وانتهاء بالقرن العشرين، مع ملاحظة الأساليب

www.SID.ir

Archive of SID

التالية:

١. الهجمة الصليبية الأولى فى احتلال الفرنجة للقدس عند نهايه القرن الحادى عشر، والنقصان الكبير فى عدد سكانها... ثم تصاعد الديموغرافية التاريخية بامتداد تحرير القدس على يد الأيوبيين وصولاً إلى أعلى ما بلغته فى العهود المملوكية إبان القرن الرابع عشر، وتعود أسباب ذلک التصاعد الديموغرافى فى القدس لعوامل تاريخية منها:

١. استقبال القدس لأعداد كبرى من النازحين من الدواخل الإقليميه والمهاجرين من الأطراف الجغرافية.

٢. الضغوطات المغولية والتتارية على سكان المشرق والعراق، الذين لاذوا ببلاد الشام.

٣. الدعة والأمن والاستقرار والرخاء الذى تمتعت القدس به كله.

٤. الأهمية البالغة التى أولاها السلاطين المماليک للقدس الشريف عمراناً وازدهاراً. (راجع التفاصيل فى: غوائمة، ١٩٨٧م: ١١٥-١٢٠)

٢. الانهيار التاريخى للديموغرافية التاريخية فى مدينة القدس والنقصان المريع للسكان فيها فى القرن الخامس عشر، وكان وراء ذلک التخلخل المفجع فى بدايات القرن السادس عشر عند نهايات العهود المملوكية أسباب متنوعة منها:

١. الكوارث الطبيعية وتعاقب نكبات الطاعون والأوبئة المستمرة.

٢. الحروب الداخلية وموجات القحط والجفاف التى ضربت منطقة الشرق الأوسط فى القرن الخامس عشر.

٣. الغزوات التتارية المدمرة التى قادها تيمور لنک سنة ٨٠٣ ق / ١٤٠٠م.

٤. هجرة سكان القدس، مندفعين عنها نظراً لما أصابها من شظف فى الحياة المعيشية الاقتصادية.[1]

٥. تعلمنا حوليات مجير الدين أنه فى بدايات القرن العاشر الهجرى/السادس عشر

1. Donald p.liltle, jerusalim and Egypt during the mamluk peryod in Ammon cohen and Gabnel Baer. Egypt and Palestine newyork, 1984. p.p 75-80.

www.SID.ir

Archive of SID

الميلادى لم يستطع أحد المضى لأداء الحج، ولمدة عشر سنوات إلى القدس بسبب عمليات البدو القاسية ضد المسافرين فى قوافلهم بين القدس والبحر الأحمر. (راجع: العليمى، ١٩٧٣م، ج١: ٣٢٩)

المحددات الجغرافية

إن القدس الشريف ليس إقليماً بحد ذاته، بل هو ناحية جغرافية تقع امتداداتها ضمن إقليم من المرتفعات الوسطى فى الأرض الفلسطينية. وإذا كانت جغرافيتها الإسلامية قدتوسعت أو انكمشت قبل العصور الحدثية، نتيجة لمؤثرات العلاقات الساخنة بين المسلمين والصليبيين على امتداد تاريخ طويل، فإن محددات ناحيه القدس الشريف قد تبلورت بشكل واضح الأبعاد والمعالم فى أواخر العهود المملوكية كجزء مقدس وأصيل فى الدولة المملوكية الممتدة بين مصر وبلاد الشام للفترة ٦١٨-٧٢٢ق/١٢٥٠-١٣٩٠م.

إذ يعلمنا العليمى (سنة ٩٢٤ق/١٥٢٠م) (أى: عند بدايات العصر العثمانى) قائلاً بأن: «الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفاً، من القبلة عمل بدل سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، يفصل بينهم قرية سعير وما حاذاها وهى من عمل مدينه القدس، ومن الشرق نهر الأردن المسمى بالشريعة. ومن شمال عمل مدينة نابلس يفصل بينهما قرية سنجل وعزون، وهما من أعمال القدس، وتتمة الحد رأس وادى بنى زيد، وهو من أعمال الرملة. ومن الغرب مما يلى رملة فلسطين بيت نوبة وهى من أعمال القدس، ومما يلى غزة قرية عجور، وهى من أعمال غزة.» (العليمى، ١٩٧٣، ج٢: ٨٣)

إن نيابة القدس المملوكية قد حددتها فواصل طبيعية جغرافية عن غيرها من المناطق المتاخمة لها، ذلک أن مرتفعات سنجل التى تفصل جبال القدس عن جبال نابلس، ويفصل وادى بنى زيد القدس عن الرملة، أما جبال سعير، فهى التى تفصل القدس عن جبال الخليل. (النمر، ١٩٧٥م، ج٢: ٢٠٤-٢٠٦-٢٢٠) معنى ذلک: إن منطقة بيت المقدس ودساكره وأطرافه تمتد جغرافياً من مركزية القدس بشكل مثلث طبيعى الأضلاع بين

www.SID.ir

Archive of SID

ثلاثة مراكز أساسية فلسطينية، هى: نابلس والرملة والخليل... لتتشكل امتدادات أخرى باتجاهات مختلفة: أما عثمانياً فغدت النيابة ناحية، ولكن لم تحدث أية تغييرات فى بدايات حكم العثمانيين لها، ولكن بعد صدور نظام الشرق على عهد السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٦٦م)، عدلت المنطقة المقدسية كى تتلاءم مع بنود التنظيمات الإدارية العثمانية، فتوسعت حدود ناحية القدس الشريف شمالاً حيث امتدت من قرية سنجل إلى قرى كفر عطية والمزارع وقراوة بنى زيد، وشكلت قرى الدوير وعابود ودير أبى مشعل الحدود الشمالية الغربية. أما حدودها الجنوبية، فلقد تقلصت من قرية سعير إلى قرى بيت ساوريو بيت تعمز وقد ظلت حدودها الجنوبية الغربية كما كانت عليه فى العهود المملوكية، وانتقلت الحدود من طرف الرملة إلى الغرب قليلاً لتصل إلى قرية يالو الواقعة فى الجنوب الغربى من قرية بيت نوبا. ولقد بقى وادى بنى زيد هو الحد الفاصل بين ناحية القدس وبين الرملة. أما الحدود الشرقية، فلم تحدث فيها أية تعديلات، حيث بقى نهر الأردن (الشريعة) يمثل تلك الحدود.

التأسيس العثمانى

قدسقطت مدينة القدس بيد العثمانيين عام ١٥١٦م، ضمن أسلوب التتابع السلمى لا الاكتساب العسكرى، وذلك بعد دخول السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) العاصمة السورية دمشق فى شهر أيلول/سبتمبر ١٥١٦م بعد قضائه على المماليک فى معركة موج دابق ٢٣ آب/أغسطس ١٥١٦م.

وتؤكد المعلومات التاريخية، أن سليماً الأول زار القدس على رأس وفد عثمانى رفيع المستوى، ومكث فيها قليلاً جاس فى دروبها، ثم صلى تحت قبة الصخرة التى جدد بناءها، ووقف على قبور الأنبياء وأضرحة الأولياء ثم دار فى أطراف القدس واطلع على أماكنها المقدسة، لكنه لم يمكث فيها غير أيام قليلة لكى يغادرها بعد أن غدت مع جوارها من اللواحق الفلسطينية، تابعة رسمياً وفعلياً للعثمانيين. وقد أمر سليم الأول بإعادة سور مدينة القدس للمحافظة عليها، ثم تابع توسعاته إلى مصر، فأنهى هناک

www.SID.ir

Archive of SID

الوجود المملوكى كاملاً، وعاد عبر سورياً أيضاً ليعين أحد زعماء المماليک السابقين، وهو جان بردى الغزالى والياً على سوريا ثمن خيانة الأخير لقائده السلطان المملوكى الأشرف الغورى فى معركة مرج دابق، وقد أضاف الغزالى إلى ولايته، القدس، وصفد، والكرک. (فريدون بک، ١٨٥٨م: ٤٥٢-٤٥٦)

ولما جاء السطان سليمان القانونى إلى الحكم (١٥٢٠-١٥٦٠م) عقب أبيه سليم الأول، فإن أعماله التاريخية القوية، تدلنا دلالات واضحة على ما حصل من تطورات رائدة، وكبرى فى المدن العثمانية، وخصوصاً فى المدن العربية الكبرى، والقدس فى مقدمتها. ذلک أنه اهتم بتجديد أسوارها وتدعيمها على غرار ما أمر به أبوه، وذلک خلال السنوات ١٥٣٧-١٥٤٤م، وأنجز المهندسون البارعون أربع نوافير مياه جميلة بعد أن عمرت بركة السلطان الواقعة جنوبى باب الخليل عند سفح جبل زايون، كما عمّر السبل (جمع: سبيل مياه) الكائنة فى طريق الوادوفى ساحة الحرم إلى الشمال من باب شرف الأنبياء، وأقام المدرسة التنكيزيه عند باب السلسلة. ثمن عمد إلى قبة الصخرة سنة ١٥٤٢م فعمرها وأعاد تبليطها معمّراً جدران الحرم القدسى وأبوابه، وسد الباب الذهبى فيه، وفتح باب سنتامريم، ثم عمّر الباب الغربى لقبة الصخرة مجدداً القاشانى فى قبة السلسلة من الداخل، وأنشأ مسجداً فوق جبل الزيتون، كما وأنشأت زوجة السطان سليمان عام ١٥٥٢م، تكية عرفت بتكية خاصكى سلطان فى عقبة المفتى، كما أنشأت المدرسة الرصاصية؛ لقد كانت أوقاف القدس قد كثرت عهدئذ، والتى بنيت من قبل السلطان وزوجته حرم سلطان التى نالت ارتياح الناس من الناحية الاقتصادية، إذ قامت حرم سلطان ببناء مطبخ للشوربة، وأوقفته لاستقبال الطلبة، والفقراء، وقد اندثرت آثارها اليوم. وفرضت فى عهده رسوم على الحجاج المسيحيين، يدفعونها عند دخولهم كنيسة القيامة، وأمن العثمانيون حماية الطريق بين القدس ويافا.[1]

لقد سجلت مثل هذه الإنجازات العثمانية الأولى، نقطة مضيئة وضيئة فى تاريخ مدينة القدس عند بدايات العصر الحديث، إذ يبدو للمؤرخين المحليين أن القدس، عاشت

1. Goiten, The Encyclopedia of Islam, P:504.

www.SID.ir

Archive of SID

حركة عمرانية نشيطة، ورخاء اقتصاديا واسعا، مما دفع الناس للإقبال عليها من أطراف عدة للسكن فيها، فازدهرت كثيراً مع استمرار، وتواصل حالة التعايش الدينى بين أوساط الناس، سواء كانوا من المسلمين وأهل الذمة أو لا، أو كانوا من السكان الأصيليين والنازحين المهاجرين نحوها ثانياً... وتدلّنا الآثار الباقية فى القدس العريقة على قيمة ما أحدثه العثمانيون فيها، والتى مازلنا نشاهدها حتى اليوم فى متحف الحرم القدسى، أو تلك التى نجدها مسجلة بمعلوماتها الدقيقة فى الأرشيفات العثمانية.

الديموغرافية التاريخية لسكان القدس:

يسجل الحاج بورشاد فى توصيفاته للأرض المقدسة، الطوائف، والأديان، والمذاهب، والعناصر السكانية، التى كانت القدس ملتقاها على مرّ تواريخ العصور الوسطى؛ إذ يقول: «ويقيم فى الأرض المقدسة رجال من جميع الأمم التى تقطن تحت السماء.» وهو يصف تنوعات سكان القدس، كالتالى:

فهناك المسلمون، والمسيحيون المتنوعون: اللاتين (الذين وصفهم بأسوأ جميع أهل الأرض)، والسريان (الذين لايثقون باللاتين)، ويقطن السريان بين المسلمين ويشجّعونهم، وهناك اليونان، والأرمن، والجورجيون، والنساطرة، واليعاقبة، والكلدانيون الميديون، والفرس، والأحباش الأثيوبيون، والأقباط المصريون، وشعوب أخرى تعتنق المسيحية. تنبئنا المعلومات التاريخية أن أعداد سكان ناحية القدس الشريف قد تعرضت قوتها الديموغرافية للمزيد من الضعف إثر اجتياح الكوارث، والطواعين لمنطقة الشرق الأوسط التى قل سكانها بشكل مهول فى نهايات القرن الخامس عشر الميلادى/التاسع الهجرى. وتخبرنا أرقام المسوحات السكانية التى أجراها العثمانيون على عهد السلطان سليمان القانونى عام ١٥٢٥م/٩٣٢ق الذى اهتم بذلك اهتماماً كبيراً بأن عدد سكان القدس المتنوعين من المسلمين، والنصارى، واليهود، بلغ ذروته فى منتصف القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

تقسيم السكان فى إقليم القدس على غرار التقسيمات السكانية العربية الأخرى، فى أقاليم عربية أخرى، إلى ثلاثة أنواع: هى أهل المدينة/أهل الريف، وأهل البادية (البدو).

www.SID.ir

Archive of SID

ويتنوع المسلمون فى المدينة على مذاهب أربعة من السنة، هى الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنبلية، ودوماً ما كان ينضاف إلى سكان المدينة على امتداد السنوات ومن خلال عمليات الهجرة الدينية، أعداد معتبرة من القادمين المتجددين، ومنهم: المغاربة، والأنطاكيين، والحلبيين، والحمويين، والطرابليسين، والمصريين، والبغدادين، والموصليين، والأروام (الترک)، والبوشناق (البوريين)، والهنود، والروس.

أما النصارى المقدسيون، فإنهم يتميزون بتنوعهم أيضاً، فهناک المسيحيون المقدسيون الأصلاء ينضاف إليهم مهاجرون آخرون من: الأحباش، والأرمن، والإفرنج، والكرج، والسريان، والفريسكان، والموارنة... الذين ازدادوا من بدايات القرن إلى نهاياته، بحكم الهجرات الخارجية والداخلية كانتقالات الملكانيين من بعض القرى إلى القدس، وأعتقد أن ليس هناک تنوع سكانى لمسيحى فى أى مكان فى العالم، مقارنة بما كانت عليه القدس، نتيجة عمليات الجذب والدفع الديموغرافى فى القرن السادس عشر، وعليه فإن الطوائف النصرانية فى القدس، تتميز بتنوعها الكبير بين الملكانيين، والسريان، والأقباط، واليعاقبة، والأرمن، والروم، واللاتين الفرنجة، والماردينيين.

أما اليهود، فقد كان عددهم فى القدس قبل القرن المذكور ضئيلاً جداً، لايتجاوز المائتى نسمة، ولكنه ازداد قليلاً فى القرن السادس عشر، نتيجة هجرات اليهود بعد طردهم من إسبانيا الكاتوليكية، عند نهاية القرن الخامس عشر، إذ استقطبت القدس يهوداً من غزة، وطرابلس الشام، ومصر، فضلاً عن اليهود الفرنج، واليهود الأروام (الأتراک)، لكى يشكلوا لهم تجمعاً فى القدس وسط الأغلبية الساحقة من المسلين.[1]

توزيعات المسلمين فى مدينة القدس

تخبرنا المعلومات التاريخية التى وفرتها لنا المراجع التاريخية، أن المسلمين فى مدينة القدس قد توزعوا فى محلاتها السكنية، وحاراتها المعروفة، بشكل متباين على امتداد ثلاثة أجيال من القرن السادس عشر الميلادى/العاشر الهجرى، إذ علمنا أن

1. Amnon Cohen, ottoman Documents, pp12-15.

www.SID.ir

Archive of SID

هناک إحدى عشرة محلة، وحارة، وهى: الشرف، وباب القطانين، والريشة، والمغاربة، وباب العمود، وعقبة الست، وباب حطة، والزراعنة، وحارة بنى حارث، وحارة الجوالدة، وحارة بنى زيد، وهى مناطق شملت كلّ أنحاء مدينة القدس القديمة، وعلى جوانبها الأربعة، ولكن الثقل السكانى من المسلمين يزداد فى محلات: الشرف، وباب القطانيين، وباب العمود، وباب حطة، والزراعنة، وينخفض كثيرا فى محلات: الريشة، والمغاربة، وعقبة الست، وحارات بنى حارث، والجوالدة، وبنى زيد، بل وينعدم سكن المسلمين فى الحارات الثلاث الأخيرة إبان النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى. (معلومات عن خطط القدس العمرانية من خلال مصادر تاريخية عديدة، منها كتاب: الأبنية الأثرية فى القدس، إعداد: المدرسة البريطانية لعلم الآثار بالقدس، ١٩٩٧م) إن أعداد المسلمين فى مدينة القدس، هى قرابة (٢٦١٧ نسمة) بواقع (٥٢٣ خانة × العدد ٥ = ٢٦١٥ + ٢ مجرد = ٢٦١٧ نسمة).

توزيع المسيحين النصارى

ولعل أضخم الأعداد من النصارى فى القدس هم الذين تضمهم الطائفة الملكانية (أو الملكية)، والذين ينتشرون أيضاً فى جوار القدس وأطرافها من القرى والدساكر... وتقل الأعداد كثيراً عند طائفة اليعاقبة والطائفة السريانية. فضلاً عن نصارى آخرين كانت القدس تجتذبهم دوماً بحكم مركزيتها الدينية فى الحج، سواء إليها أو إلى أطرافها، ومنهم: الأقباط، والموارنة، والأرمن، والأروام، والكاثوليک من اللاتين. وكان نصارى القدس يتركزون فى جهاتها الشمالية الغربية، وفى حارات صغيرة نسبياً، وهى المسماة بمحلات النصارى، وأولاد قبيطة، ورحبة ابن عزالدين، والملاط، والإفرنج، والتبانة. ومن المفيد أن نذكر كما يشير إلى ذلک عدد من المؤرخين، والسائحين الموثوقين بأن النصارى المقدسيين، لم يشاركهم سكناهم فى هذه الحارات غير المسلمين. كما أنهم شاركوا المسلمين فى حياتهم بمحلتى الشرف والريشة، وعايشهم فيها اليهود أيضاً.

أما أعداد النصارى المسيحيين فى سنة ١٥٢٥م/٩٣٢ق ١١٩ خانة × ٥ = ٥٩٥ نسمة. ثالثاً:

www.SID.ir

Archive of SID

اليهود فى مدينة القدس

مسكن اليهود فى ثلاث محلات بالقدس، هى: الشرف، والريشة، والمسلخ الوسطى، إلا أنهم كانوا يعايشون المسلمين، والنصارى فى أغلبيتهم، دون أن ينفردوا فى أية محلات، كتجمعات منعزلة (Ghottos) كما جرت عليها عاداتهم المعروفة منذ القدم، وفى كل المدن الأسيوية، والأروبية التى سكنوا فيها، وتدلنا المعلومات الوثاقية (من دفاتر الطابو العثمانية) بأن يهود محلتى الريشة، والشرف كانوا أكثر عدداً من يهود محلة المسلخ... وكانت لهم مشيختهم اليهودية إذ التى يقوم يهود القدس أنفسهم بتعيين شيخهم على طائفتهم، ولكن شريطة أن يتم ذلك برضى القاضى الحنفى المعين فى القدس من قبل الدولة. وفى سنة ١٥٢٥م/٩٣٢ق ١٩٩ خانة × ٥ = ٩٩٥ نسمة من اليهود فى القدس (خلال الجيل الأول). وفى سنة ١٥٩٤م/١٠٠٣ق نتوفر على خانات اليهود ومجرديهم التالية ٥×٣٢١ = ١٦٠٥ نسمة + ١٣ مجرد = ١٦١٨ نسمة من اليهود فى القدس (خلال الجيل الثالث). (الديموغرافية التاريخية لمدينة القدس وجوارها فى القرن السادس عشر، سيار الجميل: صص ١٣٤-١٣٥)

وفى العصر العثمانى للمرة الأولى فى ديوان الأوراق نجد إطلاعات دقيقة حول الجمعية، الأبنية، والأماكن، والاقتصاد إلى حدّ لبيت المقدس، وقد شرح، وحلل برنارد لوئيس (Leuis Bernard) هذه الإعلانات، والاطلاعات. وعرض النقل، والانتقالات من عدد سكان هذه المدينة طوال حكم سلطان سليمان على أساس قائمات الأسامى لمولّى الضرائب:

	عام ٩٣٢ق / ١٥٢٥-١٥٢٦م			عام ٩٤٠-٩٤٥ق/١٥٣٣-١٥٣٩م			عام ٩٦١ق ١٥٥٣-١٥٥٦م		
	ع	غ	ف	ع	غ	ف	ع	غ	ف
المسلمون	٦١٦	٢	١	١١٦٨	٧٥	٣٤	١٩٨٧	١٤١	١٦
المسيحيون	١١٩	--	--	١٣٦	٢٦	٤٢	٤١٣	٢٥	٣
اليهود	١١٩	--	--	٢٢٤	١٩	--	٣٢٤	١٣	١
جمع الكل	٩٣٤	٢	١	١٥٢٨	١٢٠	٧٦	٢٧٢٤	١٧٩	٢٠

www.SID.ir

Archive of SID

ع: عدد نسمات الأسر. غ: غير متزوج. ف: معاف من الضريبة، كزعماء الدين.

على هذا، كان لبيت المقدس فی بدء الحكم العثمانی قريب ۴۰۰۰ نسمة التی ضاعفت إلی ثلاثة أضعاف، (مشير برنارد لوئيس، يمكن أن تكون القائمات الأخيرة أكمل من القائمات السابقة) وكان ارتفاع عدد اليهود إلی آخر الثلاثينات، أقلّ من المسيحين لأن أهم مركز اليهود إلی أواسط هذا القرن كان صفد لا بيت المقدس. (أسعدی، ۱۳۶۷ش: صص ۷۰-۷۲)

النتيجة

نری مع كثرة عدد المسلمين فی المحلات، والحارات المختلفة فی بيت المقدس فی القرن السادس عشر وثلاثة قرون بعده، كان اليهود، والمسيحيون، والمسلمون، يعيشون فی بيت المقدس، وحاراتها عيشة سلمية، وأحياناً غير سلمية، ولكن اليوم تتعرض القدس لأقسی التحديات لمواجهة المستقبل. وفی مقدمتها، الدعاوی الصهيونية الخاطئة فی جعل القدس عاصمة أزلية لإسرائيل، وتجريدها من عروبتها، وأصالتها، وموارثيها، وتواريخها، وإفراغها من محتوياتها الاجتماعية الأصلية.

المصادر والمراجع

أسعدی، مرتضی. ۱۳۶۷ش. *بيت المقدس*. طهران: بنياد دائرة المعارف الإسلامية.

الجميل، سيار. ۱۹۹۷م. *النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبی*. عمان /بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

العليمی، مجيرالدين ۱۹۷۳م. *الأنس الجليل فی تاريخ القدس والخليل*. ۲ مجلد. بيروت: دار الجيل.

غوانمة، يوسف. ۱۹۸۷م. *نيابة بيت المقدس والعصر المملوكی*. عمان: دار الحياة للنشر والتوزيع.

فريدون بيک، أحمد. ۱۸۵۸م. *منشآت السلاطين*. لانا: استانبول.

المدرسة البريطانية لعلم الآثار بالقدس. ۱۹۷۷م. *الأبنية الأثرية فی القدس*.

النمر، إحسان. ۱۹۷۵م. *تاريخ جبل نابلس والبلقاء*. ۴ أجزاء. نابلس: مطبعة النمر.

Amnon Cohen, ottoman Documents.

Donald p. liltle, jerusalim and Egypt during the mamluk peryod in Ammon cohen and Gabnel Baer .Egypt and Palestine newyork. 1984. Encyclopedia

www.SID.ir

Archive of SID

of Islam.
Sir M. Gelebert, Ierusalem in the Towenth century, Bemlego, 1996.

www.SID.ir

Archive of SID

ملخص المقالات باللغة الفارسية

دموگرافی تاریخی شهر قدس و همسایگان آن در قرن شانزدهم

علی أوسط إبراهیمی*

این مقاله به بررسی شهر قدس و جایگاه مقدسی که در طول تاریخ بدست آورده می‌پردازد. همینطور جایگاهی جغرافیایی و تاریخی که در گذر زمان داشته را ارزیابی نموده، بویژه به بررسی دموگرافی تاریخی این شهر و همسایگانش در قرن شانزدهم می پردازد.ابتدای این قرن با اشغال قدس توسط صلیبیان در سال ۱۰۹۹م/۹۴۲ق و تنزل حجم دموگرافی این شهر در اثر مرگ حدود ۷۰ هزار شخص از ساکنان مسلمان و مسیحی شهر قدس شروع می‌گردد. میزان دموگرافی تاریخی شهر قدس و نقص بزرگ در تعداد ساکنان آن، پس از ده قرن و پس از اولین حمله غربی‌ها، توسط نمودار قابل تبیین است. ملاحظات حاج بورشا در توصیفاتی که درباره سرزمین مقدس، طایفه‌ها، ادیان، مذاهب، و عناصر جمعیتی شهر قدس در طول قرون وسطی، گواه دیگری بر این مدعاست.

کلیدواژه‌ها: شهرقدس، صهیونیزم، صلیبیان، مسلمانان، دموگرافی، نستوریان، یعقوبیان.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه تربیت معلم.

تاریخ الوصول: ۱۳۸۹/۳/۱هـ . ش تاریخ القبول: ۱۳۸۹/۷/۸هـ . ش

www.SID.ir